من ظرفاء العصر العباسي :

# أبو دلامـــــة

توفي سنة ١٦١ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

— ٣ —

عرف أبو دلامة بخل المنصور ، وأنه لن ينال منه العطاء إلا بعد تعب طويل ، فكان ينتهز الفرصة في إرضائه بما يعلم أنه يستريح إلى سماعه . فهو مثلا يعرف أن المنصور — بعد قتله أبا مسلم الخرساني — كان يجب من الناس أن يبرروا عمله ويعتبروا أبا مسلم مستحقاً لتلك المأساة التي ختمت بها حياته ، فلينتهز أبو دلامة هـــذه الفرصة ولينشد المنصور في محفل من الناس :

أبا مســـلم خوفتني القتل فانتحى
عليك بما خوفتني الأسد الورْدُ
أبا مسلم ما غـــير الله نعمةً على عبـــد حتى يغيرها العبد

وإنك لتجد في هذين البيتين قوة في السبك تشعرك بأن أبا دلامة لم يكن في القصيد شيئاً يستهان به أو يستخف بوزنه . لذلك سر المنصور بهذه القصيدة وقال لأبي دلامة : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم . فأمر له بها : فلما خلا به قال له مازحاً : إيه ! أما والله لو تسديتها لفعلتك ! (١)

بل لقد أعطاه المنصور داراً وكسوة لإعجابه بقصيدة وصف له فيها سوء حاله وقلة ماله وجوع أهله ، ومدحه فيها وأثنى على بني العباس واسمع إذا شئت هذه القصيدة :

هاتيك والدتي عجـــوز همةً(٢)
مثـل البليلة دِرعها في المِشجب(٣)

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٥
(٢) الهمة : العجوز الفانية .
(٣) المشجب ( ومثله النجاب ) خشبات موتدة منصوبة توضع عليها الثياب وتنشر . يريد أن أمه فنيت حتى أشبهت خشبات المشجب .

---

المرعية لدى الحكام والمحكومين ؟

ألم يتابع — وهو في عزلته — تطور الحوادث العالمية مقدراً ما سيكون لها من أثر على مستقبل مصر ؟ ألم يدرك بثاقب فكره وحسن تقديره ، ونفاذ بصيرته ، حقيقة العلاقة بين انجلترا ومصر ؟ وأن واجب مصر يحتم عليها الأخذ بأسباب القوة حتى لا تلتهمها تلك السمكة الكبيرة ؟

ولقد فعل فلم تكشف انجلترا عن نواياها ، حتى إذا تركنا الأخذ بأسباب القوة ، وتمكنا الطريق التي رسمها ، هب إعصار الإنجليز ، فاكتسح استقلالنا ، ومسخ قوميتنا ، وشوه تاريخنا ؟

حقاً ، لقد أبدت الحوادث صدق نظر محمد علي وسذاجة الرحالة السويسري !

وهكذا تفتحت عبقرية محمد علي الكبير وهو بعد لما يزل والياً صغيراً !

لقد أحب مصر فورجة للمشق والمهام ، وتمنى أن لو كان لديه أكثر من روح واحدة حتى يقدم الآلاف في سبيلها !

ولقد تمنى فعلا بأبنائه بإسماعيل وبطوسون وبإبراهيم ، وأخيراً بروحه هو نفسه .

وهكذا أعطى مصر أكثر مما أعطته ، ومنحها أكثر مما منحته وأصبح اسمه علماً على نهضتها وعظمتها في تاريخها الحديث .

لقد أخلص محمد علي في حبه لمصر لمشوقته الحسناء ، وخانه الميناء ، حتى الرمق الأخير ...

فلا عجب إذا احتفلت قلوب المصريين بذكرى المؤسس الأول الخالد في سجل الخالدين وهي تهتف بلسان واحد :

حقاً لقد كان عبقرياً !

كمال السيد درويش
مدرس بالرمل الثانوية — اسكندرية
لهما لسبب الآداب بامتياز ودبلوم معهد التربية العالي
وعضو الجمعية التاريخية الجغرافية بجامعة فاروق

سهزولة اللحيين[1] من يرها يقل:

أبصرتُ غولاً أو خيالَ القُطرب[2]

ما إن تركتُ لها ولا لابن لها ... مالاً يؤمل غير بكسر أجرب

ودجاجاً خمساً يُرحن إليهمُ ... لما يبضن، وغيرَ عَيْرٍ[3] مغرب

كتبوا إليّ صحيفة مطبوعة[4] ... جعلوا عليها طينة كالمقرب

فعلمت إن الشر عند فكاكها ... ففككتها عن مثل ريح الجورب

وإذا شبيه بالأفاعي رُقشتْ ... يوعدنني بتلمُّظ وتثؤب

يشكون أن الجوع أهلك بعضهم ... ثَرَباً[5] فهل لك في عيال تُرْبِ

لا يسألونك غير ظل سحابة ... تنشاهمُ من سيلك التحناب

يا باذل الخيرات بان بذولها ... وابن الكرام وكلّ قرم منجب

انتم بنو العباس يُعلَم أنكم ... قدماً فوارسُ كل يوم أشهب

أحلاس[6] خيل الله وهي مغيرة

يخرجن من خَلَل الغبار الأكهب[7]

وكانت الدار التي أعطاها المنصور أبا دلامة قريبة من قصره، فأمر بأن تزاد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها. فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله:

يا ابن عم النبي دعوة شيخٍ ... قد دنا هدم داره ودمارُه

فهو كالناقض التي اعتادها الطل ... ق فقرّت وما يقر قراره

إن تحزْ صره بكفيك يوماً ... فبكفيك صره ويساره

أو تدعه فللجوار وأنى ... ولماذا وأنت حي جواره؟

هل يخاف الهلاك شاعرُ قوم ... قدمتْ في مديحهم أشعاره؟

لكم الأرض كلها فاعيروا ... شيخكم ما احتوى عليه جداره

فكأنْ قد مضى وخلّف فيكم ... ما أعرتم وأفقرت منه داره

فاستعبر المنصور، وأمر بتعويضه داراً أخيراً منها ووصله.[8]

ولو لم يتأثر بمساق الشعر أبو جعفر، لما دمعت عيناه فاستعبر ولما عوض عليه تلك الدار بأحسن منها وطيب خاطره وأجزل صلته مع علمه بأنه أكثر إجادة للتمثيل منه لوصف حقيقة حاله. وانظر إلى تخيل أبي دلامة واستخدامه الأساليب التي ترقق من قلب المنصور تارة، وتضحكه حتى تبدو نواجذه تارة أخرى، يوم دخل عليه فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

إن الخليط أجدّ البَيْنَ فانتجعوا[1] ... وزوّدوك خبالاً بئس ما صنعوا

والله يعلم أن كادت أبيّنهمُ ... يوم الفراق حصاة القلب تنصدع

عجبتُ من صابئ يوماً وأمّهمُ ... أمّ الدلامة لما هاجها الجزَع

لا بارك الله فيها من منيحة ... هبت تلوم عيالي بعد ما هجموا

ونحن مشتبهو الألوان أوجهنا ... سودٌ قباح وفي أعمالنا شَنَع

أذاك الجوع مذ صارت عيالتنا ... على الخليفة منه الريُّ والشبع[2]

لا والذي يا أمير المؤمنين قضى ... لك الخلافةَ في أسبابها الرفع

ما زلت أخلصها كسبي فنأكله ... دوني ودون عيالي ثم تضطجع

شوهاء مشتأةٌ في بطنها تجَلٌ ... وفي المفاصل من أوصالها فدع[3]

ذكرتُها بكتاب الله حرمتنا ... ولم تكن بكتاب الله تنتفع

فاخرَنطمت[4] ثم قالت وهي مغضبةٌ

أأنت تتلو كتاب الله يا لُكعُ

اخرجْ لتبغ لنا مالاً ومزرعة ... كما لجيراننا مال ومزدَرَعُ

واخدع خليفتنا عنها بمسألة ... إن الخليفة للسؤال ينخدع

ولقد انخدع أبو جعفر حقاً بهذه المسألة فإنه ضحك ثم قال: أرضوها عني واكتبوا له بمائتي جريب عامرة ومائتي جريب غامرة فقال له: أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة ـ

(١) اللحى عظم الحنك وهو الذي عليه الأسنان.

(٢) القطرب هنا: ذكر الثعلان أو الصغير من الجن.

(٣) العير: (بالفتح) الحمار. والمغرب: الذي انتتف بياضه حتى تبين محاجره وأرفاغه. (٤) مطبوعة: مختومة

(٥) الترب ضيق العيش (٦) أحلاس الخيل هنا: اللازمون ظهورها (٧) الكهبة: غبرة مشربة سواداً.

(٨) الأغاني ج ١٠ ص ٢٠٩

(١) راعى في ضمير الخليط اللفظ فأفرد (أجد البين) والمعنى للجمع (انتجعوا) وهنا يائز لغة على حد قوله تعالى (مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم) أي كمثلهم كمثل الفريق الذي ... والفريق كالخليط كلاهما من الأسماء التي يدل معناها على الجمع

(٢) وروى هذا البيت:

إذا تشكت إلى الجوع قلت لها ... ما هاج جوعك إلا الري والشبع

وما روياه أجود.

(٣) التجل: عظم البطن واسترخاؤه. والفدع: الاعوجاج

(٤) اخرنطمت: رفعت رأسها وتكبرت

فيا بين الحيرة والنجف ، وإن شئت زدتك . فضحك وقال : اجعلها كلها عامرة[1]

ولعلك تذكر أن قد مر بك — حول الجريب العامر والجريب الغامر — محاورة شبيهة بهذه بين أبي دلامة والسفاح فلا تسرع إلى اعتبار إحداهما موضوعة ، فكثيراً ما يستطيب اللاحق نكتة السابق فيتناقلها استمتاعاً بها ورغبة في سماع جواب جديد عليها . وجواب أبي دلامة للمنصور هنا — وإن أشبه جوابه للسفاح — إلا أن الرد الجديد أكثر طرافة . فقد قال هناك : قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد ، ولم يكتف بفيافي بني أسد مع النصور فقد أبعد الشقة فقال له : أنا أقطعك يا أمير المؤمنين أربعة آلاف جريب غامرة فيا بين الحيرة والنجف ، وإن شئت زدتك .

ولأبي دلامة في مسألة المنصور والوصول إلى عطائه أسلوب أدعى إلى النزاهة من كل ما سبق ، فقد تطوع له نفسه تلفيق الرؤيا ، وهو يعلم أنه متهم بالكذب فيطلب من الخليفة تصديقه كأنه يريد أن يشهده على خداعه .

دخل على المنصور يوماً فأنشده :

رأيتك في المنام كسوت جلدي ثياباً جمةً وقضيت دَيني
فكان بنفسجيٌ الخز فيها وساجٌ[2] ناعم فاتم زيتي
فصدقْ يا قدتك النفس رؤيا رأتها في المنام كذاك هيني

فأمر له بذلك وقال له : لا تعد أن تتحلم[3] على ثانية ، فاجعل حُلمك أضغاثاً ولا أحققه[4]

وقديم يجد في نفسه الجرأة على تلفيق الرؤيا إمام الخليفة له من الدلال عليه ما يشفع له ، وإلا لالتمس لنفسه أسلوباً أسلم . ونعرف دلال أبي دلامة على المنصور من إعفائه إياه من السواد والقلانس دون الناس : فقد أمر أبو جعفر أصحابه بلبس السواد وقلانسَ طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يمشوا السيوف في المناطق ويكتبوا على ظهورهم (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) . فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي فقال له أبو جعفر : ما حالك ؟ قال : شر حال ، وجهي في نصف ، وسيفي في أستي ، وكتاب الله وراء ظهري ، وقد صبغت بالسواد ثيابي . فضحك منه وأعفاه وحده من ذلك ، وقال له : إياك أن يسمع هذا منك أحد[1] .

وفي هذا يقول أبو دلامة :

وكنا نرجي من إمام زيادة فجاد بطول زاده في القلانس
تراها على هام الرجال كأنها دنان يهود جللت بالبرانس[2]

فهل كان الخليفة يعفيه من ذلك اللباس من دون الناس لولا دلاله عليه ؟ —

(يتبع)

صبحي إبراهيم الصالح

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٧

(٢) الساج : الطيلسان الأخضر وقيل الأسود وقيل المقور يتخذ كذلك . وفي الأساس : لبسوا الديباج وهي الطيالسة المدورة الواسعة

(٣) تحلم فلان : قال حلمت بكذا وهو كاذب

(٤) الأغاني ج ١٠ ص ٢٥١

(١) الأغاني ج ١٠ ص ٢٣٦ . وفي معجم الأدباء ج ١١ ص ١٦٦

(٢) البرانس : جمع برنس قلنسوة طويلة ، أو كل ثوب رأسه منه

إدارة الكهرباء والغاز لمدينة القاهرة

إعـــلان

تعلن إدارة الكهرباء والغاز لمدينة القاهرة أنه اعتباراً من أول سبتمبر ١٩٤٩ يجب على جميع المشتركين إطفاء ما لديهم من إعلانات مضيئة ومن أنوار موضوعة على واجهات المحال التجارية وذلك فيما بين الساعتين ١٧ و ٣٠ و ١٩ شتاء ، ١٨ و ٣٠ و ٢٠ صيفاً ما عدا اللمبة المخصصة للحراسة الليلية ويستثنى من قيد الأطفاء دور السينما ومسارح التمثيل

وكل مخالفة تترتب عليها عدم تجديد عقود الاشتراك ، إلا بعد دفع غرامة تقدرها عشرون جنيهاً .

٢٤٢٦